رَمَضَانُ شَهْرُ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ

📰ما من أحدٍ في هذه الحياة إلا وهو يعاني من مشكلة أو قضية أو حاجة أو همٌ يورق حياته ويقلق راحته أو مرض يرجو الشفاء منه أو دين يتمنى قضائه أو فقرٌ يأمل بعده الغنى فإلى من يلجأ وممن يطلب العون وعلى من يعتمد؟ فكان من رحمة الله بعباده أن دلهم عليه وأمرهم باللجوء إليه يقول سبحانه وتعالى بعد أن ذكر آيات الصيام (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة:186] وما ذلك إلا لبيان أهمية الدعاء والتضرع بين يديه سبحانه وتعالى وفي رمضان يكون الدعاء أعظم ثمرة وأعظم أجراً ولما لا يكون كذلك وقد قال -ﷺ-: "للصائم عند فطره دعوة لا ترد " [صحيح ابن ماجه] و عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: "ثلاثةٌ لا تُردُّ دعوتُهم الصَّائمُ حتَّى يُفطرَ والإمامُ العادلُ ودعوةُ المظلومِ يرفعُها اللهُ فوق الغمامِ وتُفتَّحُ لها أبوابَ السَّماءِ ويقولُ الرَّبُّ وعزَّتي لأنصُرنَّك ولو بعد حينٍ"(أخرجه الترمذي)

✉وذلك لأنَّ الصومَ صبرٌ وجهادٌ، وحبسُ النفس عن الشهوات، فالصائمُ يتقرَّب إلى الله تعالى بما افترضه عليه، من الإمساك عن المحرمات، فيصون لسانه عن الكذب، وفُحش القول، وفضول القيل والقال، ويصون سمعه وبصره عما حرَّم الله تعالى، فدعاؤُه عند فطره مُستجابٌ، فاستجابة الدعاء ليس لمن أمسك عن الطعام والشراب والجماع وسائر المفطرات ولسانه يكذب وينم ويغتاب ويشتم قال -ﷺ-: " مَن لم يَدَعْ قول الزُّور والعملَ به والجهلَ، فليس للهِ حاجةٌ أن يَدَعَ طعامه وشرابه" الدعوة المستجابة لمن أمسك عن الحرام وعن كل ما يغضب الله.

⇦ولَمَّا كانت الذنوب أحد أسباب تأخير إجابة الدعاء، كان لِزَامًا على الداعي أن يُنظِّف " طُرُق الإجابة مِن أوساخ المعاصي".

✉ثم إن الصائمَ يغتنم أيام رمضان ولياليه، فينشط في الأعمال الصالحة مِن صدقةٍ وبِرّ، وحرصٍ على مجالس العلم، ومُدارَسة كتاب الله تعالى، ليرويَ قلبه، ويزدادَ به إيمانًا، وذلك كلُّه أعمالٌ صالحةٌ يتوسَّل بها الصائمُ فيدعو ربه بما يريد.

📣فالصائم مُستجاب الدعاء، وذلك لأمور:

الأول: أن الصائم في فريضة، والْمُتقَرِّب بالفريضة أحبّ إلى الله وأقرب.

⇦وكان السلف يستحبّون أن يكون الدعاء في الفريضة.

📃قال ابن مسعود رضي الله عنه: احملوا حوائجكم على المكتوبة. رواه عبد الرزاق.

وعند ابن أبي شيبة: أُدْعُوا فِي صَلاَتِكُمْ بِأَهَمِّ حَوَائِجِكُمْ إِلَيْكُمْ.

الثاني: أن العامل يُعْطَى أجْره عند نهاية عَمَلِه؛ فالصائم يَنتهي يَومه بإفطاره عند الغروب، فَنَاسَب أن تكون له دعوة مُستجابة عند فِطْرِه.

الثالث: أن الصيام يُضيّق مجاري الشيطان، فتسمو النفس وتَخْلص فـ تُخْلِص، فيكون أقرب إلى الإجابة.

الرابع: شِدّة الافتقار مع الجوع والعطش، إذ أن الشِّبَع يَبْعَث عادَة على الغَفْلَة والأشَر.

قال سَهل بن عبد الله: البِطْنَة أصل الغَفْلَة.

✉وَإِذَا لم يَكُنْ رَمَضَانُ هُوَ شَهرَ الدُّعَاءِ وَفُرصَةَ الابتِهَالِ وَالنِّدَاءِ فَفِي أَيِّ شَهرٍ يَكُونُ ذَلِك؟! وَإِذَا لم يَستَغِلَّ العَبدُ مَوسِمَ الرَّحمَةِ لِيَرفَعَ إلى مَولاهُ حَاجَاتِهِ وَرَغَبَاتِهِ فَمَتى يَكُونُ ذَلِكَ؟! وَإِذَا كَانَ اللهُ حَيِيًّا كَرِيمًا يَستَحِي إِذَا رَفَعَ العبد إِلَيهِ يَدَيهِ أَن يَرُدَّهُمَا صِفرًا فَكَيفَ بِمَن أظمأ نهاره صائماً لله وأسهر ليله طَاعَةً لِرَبِّهِ ولسانه رطب بذكر الله وتلاوة القرآن وَقَدَمَاهُ مَصفُوفَتَانِ قَائِمًا وَرَاكِعًا وَسَاجِدًا ؟! كَيفَ بِهِ إِذَا رَفَعَ كَفَّيهِ وَنَاجَى رَبَّهُ عَلَى تِلكَ الحَالِ؟!

✉إن الله شرع هذا الدين وجعل من الطاعات والقربات ما يُقَرِّبُ منه سبحانه وتعالى، فجعل من الأعمال الصالحة ما تزكو به نفسُ المؤمن، ويخلُصُ قصدُه لله رب العالمين، ومن أعظم هذه العبادات الدعاء، فهو من أجلِّ القربات وعظيمِ العبادات، الدعاء شأنه عظيم، ونفعه عميم، ومكانته عالية في الدين، فيه تخليص العبيد من الاتجاه والتعلق بغير الله، قال -ﷺ-: (الدعاء هو العبادة) ثم قرأ: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60].

📝الدعاء عبادة يتحقق بها التوحيد لرب العالمين، لأن فيه قطع العلائق عن الخلائق، وفيه اعتماد القلب على الله والاستعانة به وتفويض الأمور إليه وحده - سبحانه وتعالى -، بل إن الله ليغضبُ حين يتركُ العبدُ سؤالَه؛ قال -ﷺ-: "مَن لم يسألِ اللهَ يغضبْ علَيهِ" صحيح الترمذي.

لاَ تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبوَابُه لاَ تُحْجَبُ

اللهُ يَغْضَبُ إِن تَرَكْتَ سُؤَالَهُ وَبُنَيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ.

✉يستجيب الله دعائك بقدر يقينك به، وانقطاعك عن كل ما سواه، فكل من دعا الله بيقين وألح على الله، لا بد أن يكرمه الله، إما بالإجابة أو بسعادة أعظم وأكبر من حاجتك التي لم تتحقق. سلطان العرابي

✉قاومي كل يأس في الحياة بالدعاء، افتحي كل باب أغلق في وجهك ب لا حول ولا قوة إلا بالله، واجهي كل ضعف يعتريك بالاستعانة بالله، فالله قادر قاهر قوي، حكيم عليم، رحيم لطيف، يكرم من استغنى به وتوكل عليه. سلطان العرابي

طرقتُ باب الرجاء والناس قد رقدوا ... وبت أشكو إلى مولاي ما أجدُ

وقلت يا أملي في كل نائبةٍ ... ويا من عليه لكشف الضر اعتمدُ

أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ... مالي على حملها صبر ولا جلدُ

وقد مددت يدي بالذل مبتهلاً ... إليك يا خير من مدت إليه يدُ

فلا تردنها يـا ربِ خائبـةً ... فبحر جُودك يروي كل من يـرِدُ

الدعاء سببٌ لانشراح الصدر وزوال الغموم، وتفريج الهموم، وقال -ﷺ-: " مَن نزلَت بهِ فاقةٌ فأنزلَها بالنَّاسِ لم تُسَدَّ فاقتُهُ ومَن نزلَت بهِ فاقةٌ فأنزلَها باللَّهِ فيوشِكُ اللَّهُ لَه برزقٍ عاجلٍ أو آجلٍ" صحيح الترمذي.

وقال -ﷺ-: "إنَّ الدعاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نزلَ ومِمَّا لمْ يَنْزِلْ، فَعليكُمْ عِبادَ اللهِ بالدعاءِ" صحيح الترغيب.

الدعاء أنيسُ المؤمنِ عند الشدائد، ومسلِّيه عند اشتداد الكُرَبِ ونزولِ المصائب، فما استجلبت النعم بمثله، ولا استدفعت النقم والبلايا بمثله، قال -ﷺ-: " لا يردُّ القضاءَ إلَّا الدُّعاءُ" صحيح الترمذي. وقال -ﷺ-: " مَن سرَّه أن يستَجيبَ اللهُ له عند الشَّدائدِ والكَربِ فليُكثِر الدُّعاءَ في الرَّخاءِ" رواه الترمذي وحسنه الألباني في السلسلة.

إذا تعاظمت الهوم في صدرك، وضاقت عليك نفسك، انطرحي بين الله، واشك إليه ما أهمك فمن وفقه الله للشكوى إليه، وبث همومه بين يديه، فإنه سيفرج همه، وينفس كربه ، ويزيل حزنه ، وسوف تجدي بعد ذلك من راحة القلب وطمأنينة النفس ،ما لا يمكن التعبير عنه بكلمات الدنيا.

ألا وإن من أسباب الصلاح والإصلاح والفلاح، وتتابُع الخيرات، وصرف النوازل والعقوبات، ورفع المصائِب الواقعة والكُرُبات: الدعاءَ بإخلاصٍ، وحضور قلبٍ، وإلحاح، فالربُّ - جل وعلا - يُحبُّ الدعاء ويأمر به.

فَضْلُ الدُّعَاءِ وَمَنْزِلَتُهُ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى:

إذا الْتَفْتَنا إِلَى فَاتِحَةِ الكِتَابِ العَزِيزِ، وَخَاتِمَتِهِ بَدَا لَنا مِنْ أَسْرَارِ التَّنْزِيلِ العَجَبُ؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ افْتَتَحَ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ بِالدُّعَاءِ فِي سُورَةِ الفَاتِحَةِ دُعَاءَ ثَنَاءٍ، وَدُعاءَ مَسأَلَةٍ.

أمَّا دعاءُ الثناءِ حيثُ قال تعالى:(الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[الفاتحة: 2-4].

وَأَمَّا دُعَاءُ المَسْأَلَة: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[الفاتحة: 5-6].

وَاخْتَتَمَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كِتَابَهُ الكَرِيمَ بِالدُّعَاءِ فِي سُورَتَيِ المُعَوِّذَتَيْنِ دُعَاءَ مَسْأَلَةٍ مُتَضَمِّنًا دُعَاءَ الثَّنَاءِ، فَهَذَا مِمَّا يَبْدُو لِلنَّاظِرِ فِي كِتَابِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وَلِلمُلْتَفِتِ إِلَى فَاتِحَةِ كِتَابِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَخَاتِمَتِهِ.

فَضْلُ الدُّعَاءِ، وَعُلُوُّ مَنْزِلَتِهِ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ:

عُلُوّ مَنْزِلَةِ الدُّعَاءِ، وَسُمُوّ مَرْتَبَتِهِ فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَدْ ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: ((لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ)).

أَيْ: أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ " مِنَ الدُّعَاءِ " أَيْ: مِنْ حُسْنِ السُّؤَالِ بِلِسَانِ الْحَالِ، أَوْ بِبَيَانِ الْحَالِ؛ لِأَنَّ فِيهِ إِظْهَارَ الْعَجْزِ وَالِافْتِقَارِ وَالتَّذَلُّلِ وَالِانْكِسَارِ، وَالِاعْتِرَافِ بِقُوَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ، وَغِنَاهُ وَإِغْنَائِهِ، وَكِبْرِيَائِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، مَعَ تَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

وَالدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِأَجْلِ الْعِبَادَةِ؛ لِذَا قَالَ -ﷺ-: ((الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ))، قَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: 56].

((الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ)) أَيْ: العِبَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ الَّتِي تَسْتَأْهِلُ أَنْ تُسَمَّى عِبَادَةً؛ لِدَلَالَتِهَا عَلَى الْإِقْبَالِ عَلَى اللهِ، وَالْإِعْرَاضِ عَمَّا سِوَاهُ؛ بِحَيْثُ لَا يَرْجُو العبدُ، وَلَا يَخَافُ إِلَّا إِيَّاهُ، قَائِمًا بِوُجُوبِ العُبُودِيَّةِ وَوَاجِبِهَا، مُعْتَرِفًا بِحَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ. كتاب عون المعبود وحاشية ابن القيم

والدعاءُ مُرغَّبٌ فيه في كل وقتٍ، فهو عبادةٌ يُثيبُ عليها الربُّ أعظمَ الثواب، وهو مُحقِّقٌ للمطالِبِ كلِّها الخاصَّة والعامَّة، الدينية والدنيوية، في الحياة وبعد الممات.

وقصة عاصم بن ثابت -رضي عنه- أكبر شاهد أن الدعاء ينفع في الحياة وبعد الممات، بعثه النبي -ﷺ- ليعلم عضل والقارة ولكنهم غدروا بهم، بعث عليه أفضل الصلاة والسلام عشرة من أصحابه عليهم عاصم بن ثابت... فلما كانوا بالرجيع نفروا لهم مائة رجل رام من بنو لحيان فاتبعوا آثارهم.. فلما أحس بهم عاصم وأصحابه رضي الله عنهم لجؤوا إلى مكان مرتفع فأحاط بهم القوم فقالوا انزلوا ولكم العهد والميثاق أن لا يقتل منكم أحد، فقال عاصم: لا والله لا ننزل في ذمة كافر .... تذكر عاصم نذر سلافة بنت سعد امرأة من قريش وكانت نذرت أن تشرب في قحف رأس عاصم الخمر وجعلت لمن جاء به مائة ناقة لأنه قتل ابنيها يوم أحد، وجرد سيفه وهو يقول: "اللهم إني احمي لدينك وادفع عنه فاحمي لحمي وعظمي لا تظفر بهما أحدًا من أعداء الله، اللهم إني حميت دينك أول النهار فاحمي جسدي آخره اللهم بلغ عنا نبيك السلام " فقاتلوهم فقتل منهم سبعة منهم عاصم وأسر ثلاثة، وبعثت قريش إلى عاصم ليؤتوا بشيء من جسده يعرفونه، فمنعهم الدبر من الاقتراب منه فقالوا: دعوه حتى يمسي فيذهب عنه ثم نأخذه فبعث الله الوادي فاحتمل عاصما فلم يجدوه، فكان الدعاء الدرع الذي احتمى به عاصم به مما يخاف ويخشى وأجابه الكريم وحماه.

بالدعاء تقضى الحاجات وتتحقق الرغبات فالله سبحانه يحرك الأسباب لتجري بأمره استجابة لعبد من عباده لجأ إليه وطلب منه وتوكل عليه (عن شقيق البلخي قال: كنت في بيتي قاعداً فقال لي أهلي: قد ترى ما بنا من فاقة و ما بهؤلاء الأطفال من الجوع، ولا يحل لك أن تحملهم ما لا طاقة لهم به، قال: فتوضأت وكان لي صديقٌ لا يزال يقسم علي بالله إذا ألمت بي حاجة أن أعلمه بها ولا أكتمها عنه، فخطر ذكره ببالي، فلما خرجت من المنزل مررت بالمسجد، فذكرت ما روي عن أبي جعفر قال: من عرضتْ له حاجة إلى مخلوق فليبدأ فيها بالله عز وجل، قال: فدخلت المسجد فصليت ركعتين، فلما كنت في التشهد، أفرغ عليَّ النوم، فرأيت في منامي أنه قيل: يا شقيق ! أتدل العباد على الله ثم تنساه؟! قال: فاستيقظت وعلمت أن ذلك تنبيه نبهني به ربي، فلم أخرج من المسجد حتى صليت العشاء الآخرة، ثم تركت الذهاب لصاحبي ودعوت الله وتوكلت عليه، وانصرفت إلى المنزل فوجدت مال وطعام فسألت من جاء بهذا فقالوا رجل يقول أنه صديق لك منذ زمن وقد رد ما كان عليه من دين لك، قال شقيق والله ما أعلم أن صديقاً لي أستدان مني مالاً ولم يرده ولكني علمت أن الله هو من ساق ذلك الرجل بهذا الخير إن ربي سميع الدعاء.

📝ولمنافِع الدعاء العظيمة شرعَه الله في العبادات المفروضة وجوبًا أو استِحبابًا، رحمةً من ربّنا - سبحانه -، وتكرُّمًا وتفضُّلاً لنعمل بهذا السبب الذي علَّمَنا الله إياه، ولو لم يُعلِّمنا الدعاءَ لم نهتَدِ إليه بعقولنا، قال الله تعالى: (وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ) [الأنعام: 91].

❍فلله الحمدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مُبارَكًا فيه، كما يُحبُّ ربُّنا ويرضَى.

📝ولقد أثنَى الله على الذين يدعُونه، ويتضرَّعون إليه - عز وجل - إذا نزلَت بهم الخُطوب والشدائِد، قال الله تعالى عن أبوَيْ البشر - عليهما الصلاة والسلام -: (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الأعراف: 23].

📝وقال - عز وجل - عن يونس - عليه السلام -: (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) [الأنبياء: 87].

وعن سعد بن أبي وقَّاصٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: "دعوةُ ذي النُّونِ إذ دعا وهو في بطنِ الحوتِ لا إلهَ إلَّا أنتَ سبحانَك إنِّي كنتُ من الظالمينَ فإنَّه لم يدعُ بها رجلٌ مسلمٌ في شيءٍ قطُّ إلَّا استجاب اللهُ له" (صحيح الترمذي).

📝الدعاء مفزع المظلومين، وملجأ المستضعفين، فالمظلوم أو المستضعف حتى وإن انقطعت به الأسباب، وأُغلقت في وجهه الأبواب، ولم يجد من يرفعُ عنه مَظلمتَه، ويعينُه على دفع ضرورته، رفع يديه إلى السماء، وبث إلى القوي الجبار شكواه، فنصره الله وأعزه؛ وانتقم له ولو بعد حين.

❁روى البخاري ومسلم - رحمهما الله - أن امرأةً خاصمت سعيدَ بن زيد رضي الله عنه في أرض؛ وزعمت أنه أخذ شيئًا منها، فقال سعيد: كيف آخذ من أرضك وقد سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "مَن أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إلى سَبْعِ أَرَضِينَ" فَقالَ: اللَّهُمَّ، إنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا في أَرْضِهَا، قالَ: فَما مَاتَتْ حتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، ثُمَّ بيْنَا هي تَمْشِي في أَرْضِهَا، إذْ وَقَعَتْ في حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ".

❁وروى البخاري - رحمه الله - أن أهل الكوفة شكوا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عند عمر، وزعموا أنه لا يحسن الصلاة، فأرسل عمر من يسأل، فكُلّهم أثنوا عليه إلا رجلاً يكنى أبا سعدة، فقد كذب عليه؛ وقال: إنه لا يعدل في القضية؛ ولا يقسم بالسوية، فقال سعد: (أما والله لأدعونّ عليك بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياءً وسمعة فأطل في عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن)، ثم قد رؤي الرجلُ وقد سقط حاجباه على عينه من الكِبَر، وإنه ليتعرض للجواري في الطريق فيغمزهن، وكان إذا سئل عن فعله قال: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد. فاتقوا دعوة المظلوم فإنها أقرب الدعوات إجابة.

❍نعوذ بالله من الظلم وعاقبته فالمظلُوم يُستجابُ له ولو كان كافرًا أو مُبتدِعًا.

✉إذا ألهمك الله الدعاء، وأنت في أصعب حالاتك وأشدها هماً وألماً، فاعلمي أنك على خير وأن العاقبة لك.

📝والدعاءُ سببٌ عظيمٌ لنزول الخيرات والبركات، ودفع الشرّ أو رفعه عن الداعي.

والدعاء أقوى الأسباب للخروج من الشرّ الذي وقع، والمكروه الذي حلَّ، قال الله تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ) [الأنبياء: 83، 84]، وقال تعالى: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [النمل: 62]؛ أي: لا أحدَ يفعلُ ذلك إلا الله تعالى.

وقال - سبحانه -: (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ) [الأنعام: 63].

ودُعاءُ النبي محمدٍ -ﷺ- سيّد البشر وأصحابه في بدرٍ، كان نصرًا للإسلام إلى الأبَد، وخِذلانًا للكفر إلى الأبَد، قال الله تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) [الأنفال: 9].

دعا النبيُّ -ﷺ- وألحَّ في الدعاء ببدرٍ حتى سقطَ رداؤُه، فالتَزَمه أبو بكرٍ من ورائِه - رضي الله عنه -، وقال: كفَى مُناشدتُك ربَّك يا رسول الله، فإن الله مُنجِزٌ لك ما وعدَك، فقال: «أبشِر يا أبا بكر، هذا جبريلُ - عليه السلام - يزَعُ الملائكة، على ثناياه النَّقْع».

والدعاءُ بنصر الحقِّ ودحضِ الباطل نُصحٌ لله ولكتابه ولرسولِه ولأئمة المُسلمين وعامَّتهم، فلا يزهَدُ في الدعاء ولا يهجُرُه إلا من أضاعَ حظَّ نفسِه في الدنيا والآخرة، وأضاعَ ما يجبُ عليه للإسلام والمُسلمين، وفي الحديث: «من لم يهتمَّ بأمرِ المُسلمين فليس منهم».

والمُسلمُ عليه أن يرغبَ إلى الله في إصلاح شأنه كلِّه، وأن يرفعَ إلى ربِّه حوائِجَه كلَّها، ويسألَه كلَّ شيءٍ، وأعظمُ مطلوبٍ الجنة والنجاة من النار، قال الله تعالى في الحديث القُدسيّ: « يا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» (صحيح مسلم).

اللهم اهدِنا وأطعِمنا واكسِنا واغفِر لنا يا أرحم الراحمين.

إن رمضان شهر التغيير والبناء والتجديد تغيير في السلوك والمعاملات والاهتمامات والتوجهات... تغيير يقود إلى أن نجعل لحياتنا هدف عظيم نسعى لتحقيقه ومجتمع يقوم على التراحم والصدق والعدل نسعى لبنائه، إننا بحاجة إلى دعاء تفيق بعده الأمة من غفلتها وتصحو من سباتها ويعود إليها رشدها وتتوحد في جميع أمورها ويتآلف على الخير أبنائها ... فلتكن دعوتنا التي لا ترد لأمتنا ومجتمعنا وحياتنا ولإحداث التغيير في سلوكنا وأخلاقنا ليرضى ربنا.

إن الدعاء كغيره من العبادات له آداب وشروط، وموانعُ تمنع من حصول أثره، اذكر منها:

أولا: ليعلمَ المسلمُ أن الدعاء شرعه الله لحكم عظيمة؛ منها أن يعلم عبادُه أنهم مفتقرون إليه، محتاجون إلى رحمته وفضله سبحانه وتعالى -، فإذا صادف الدعاء خشوعًا في القلب، وانكسارًا بين يدي الرب، وافتقارًا إليه وتضرعًا ورقة، كان له عظيمُ الأثر والنفع بإذن الله.

ثانياً: من آداب الدعاء التماسُ سنةِ النبي -ﷺ- في الدعاء؛ فلقد كان -ﷺ- يبدأ بالثناء على الله، والصلاة عليه -ﷺ-، وكان يدعو بجوامع الدعاء.

قال -ﷺ-:" إذا صلَّى أحدُكم فليبدَأْ بتحميدِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ ثمَّ ليصلِّ على النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ثمَّ يدعُو بَعْدَ ذَلِكَ بما شاءَ"

قال -ﷺ-:" يا عائشةُ، عليكِ بجُمَلِ الدعاءِ وجوامعِه قولي: اللهم إني أسألك من الخير كلِّه، عاجلِه و آجلِه، ما علمتُ منه و ما لم أعلمْ و أسألك الجنةَ و ما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ، و أعوذُ بك من النَّارِ و ما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ و أسألك مما سألك به محمدٌ، و أعوذ بك مما تعوَّذَ منه محمدٌ، و ما قضيتَ لي قضاءً فاجعل عاقبتَه رَشَدًا" صحيح الأدب المفرد

ثالثاً: وعلى المُسلم أن يتحرَّى أوقاتَ الإجابة؛ كالثلث الأخير من الليل؛ وبين الأذان والإقامة؛ وفي السجود؛ وغيرها.

قيل لرسولِ الله -ﷺ-: "أيُّ الدعاءِ أسمَعُ قال جَوفَ الليلِ الآخِرِ ودُبُرَ الصلواتِ المكتوباتِ" (سنن الترمذي

قال -ﷺ-: " يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْألُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُني فأغْفِرَ له؟؟" صحيح البخاري.

✉وبين الأذان والإقامة لا يُردُّ الدعاء، قال -ﷺ-: "الدعاءُ لا يُرَدُّ بين الأذانِ والإقامةِ، قالوا: فماذا نقولُ يا رسولَ اللهِ؟ قال: سَلُوا اللهَ العافيةَ في الدنيا والآخرةِ" سنن الترمذي

✉وفي السجود قال -ﷺ-: ": «أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّه وهو ساجِد، فأكثِروا الدعاءَ» (رواه مسلم).

✉وعند رؤية الكعبة، وعند نزول الغيث، وعند الاضطرار، وبعد خَتم القرآن، وبعد الصدقة.

رابعاً: من الأمور المؤثرة في الدعاء: أكلُ الحلال، ولُبس الحلال، قال النبي -ﷺ- لسعد بن أبي وقَّاص: «يا سعد! أطِب مطعمَك تُستجَب دعوتُك».

خامساً: الاستِجابةُ لله تعالى بفعلِ أوامره واجتِناب نواهِيه، فمن استجابَ لله استجابَ الله له، قال الله تعالى: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة: 186]، وقال تعالى: (وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ) [الشورى: 26].

✉كم نحن محتاجين إلى دعوات بين يدي رب الأرض والسماوات نستجلب بها التوبة والغفران ونتحلل بها من المعاصي والآثام ونغير بها واقع حياتنا وأمتنا ... ولن يكون ذلك إلا بالتوبة النصوح والدعاء الصادق قال سفيان الثوري: "بلغني أن بني إسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وكانوا يخرجون إلى الجبال يبكون ويتضرعون فأوحى الله إلى أنبيائهم عليهم السلام: لو مشيتم إليَّ بأقدامكم حتى تَحْفَى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكل ألسنتكم من الدعاء فإني لا أجيب لكم داعيًا، ولا أرحم لك باكيًا حتى تردوا المظالم إلى أهلها، ففعلوا فمطروا من يومهم".

سادساً: الإخلاصُ وحُضور القلب، والإلحاحُ على الله، وصِدقُ الالتجاء إلى الربِّ تعالى، قال - سبحانه -: (فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [غافر: 14]، وفي الحديث: «لا يقبلُ الله الدعاءَ من قلبٍ ساهٍ لاهٍ غافلٍ».

سابعاً: الحرص في الدعاء على الدعاء بأمور الدين والآخرة أكثرَ من الحرص على الدعاء لأمور الدنيا، ويُستحبُّ للمُسلم أن يتخيَّر جوامِع الدعاء الوارد عن النبي -ﷺ- كقوله تعالى: (رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) [البقرة: 201]، وكان النبي يدعُو بها كثيرًا

ثامناً: الثناءُ على الله تعالى بأسمائِه الحُسنى وصفاته العُلى، والصلاةُ على النبي - عليه الصلاة والسلام -، وفي الحديث: أن رسولَ الله -ﷺ- سمِع رجلاً يقول: اللهم إني أسألُك بأني أشهدُ أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلِد ولم يُولَد، ولم يكُن له كُفُوًا أحد، فقال: «لقد سألتَ اللهَ بالاسمِ الأعظَم الذي إذا سُئِل به أعطَى، وإذا دُعِيَ به أجاب» رواه أبو داود والترمذي

وعن فُضالة بن عُبيد - رضي الله عنه - قال: بينما رسولُ الله -ﷺ- قاعِدٌ، إذ دخل رجلٌ فصلَّى، فقال: اللهم اغفِر لي وارحَمني، فقال -ﷺ-: «عجِلتَ أيها المُصلِّي، إذا صلَّيتَ فقعدتَ فاحمَد الله بما هو أهلُه، وصلِّ عليَّ، ثم ادعُه» (رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وقال: "حديثٌ حسن").

الدعاء ثمرته مضمونه، وربحه حاصل، قال -ﷺ-: "ما من مسلمٍ يدعو بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ، ولا قطيعةُ رَحِمٍ؛ إلا أعطاه بها إحدى ثلاثَ: إما أن يُعجِّلَ له دعوتَه، وإما أن يدَّخِرَها له في الآخرةِ، وإما أن يَصرِف عنه من السُّوءِ مثلَها قالوا: إذًا نُكثِرُ قال: اللهُ أكثرُ). وهذا مشروط بشرط، قال -ﷺ-: (مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ)، قِيلَ: يَا رسُولَ اللَّهِ مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: قَدْ دعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَم أَرَ يَسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْد ذَلِكَ، ويَدَعُ الدُّعَاءَ" رواه مسلم.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال -ﷺ-: "إن الله تعالى يقول: أنا عند ظنِّ عبدِي بي، وأنا معه إذا دعاني" (رواه البخاري ومسلم).

فدوامُ الدعاء معه الإجابة، فما أعظمَ سعادةَ وفلاحَ وأجرَ من عكَفَ قلبُه على الله –تعالى-، يدعُوه ويرجُوه ويتوكَّلُ عليه، ويستعينُ به، ويُلِحُّ الدعاءَ على الله، كُونوا إلى الله راغِبين، ولدُعائِه مُداوِمين، فما خابَ من دعاه، ولا حُرِم من رَجاه، وكلُّ إنسانٍ له حاجاتٌ مُتجدِّدة، ومطالِبُ في كل وقتٍ مُتعدِّدة، فليسأَل كلُّ أحدٍ ربَّه ما يعلمُه خيرًا له، وليستعِذ بالله مما يعلمُه شرًّا، وأعظمُ سُؤلٍ هو رِضوانُ الله والجنة، وأعظمُ ما يُستعاذُ منه هو النار.

حتى تكوني أسعد الناس بالدعاء: حسن ظنك بالله، مداومتك على الدعاء، التلذذ بمناجاة الله، وعدم اليأس من رحمة الله، كتمان مصائبك وأحزانك وعدم الشكوى إلى الناس، استشعار القرب من الله، دمعة العين بين يدي الله، الافتقار والانكسار لله، الإكثار من لا حول ولا قوة إلا بالله.
سلطان العرابي

عَلَينا الاجْتِهَادِ بالدُّعَاءِ فِي شَهْرِ رَمضَانَ، ففيه يَغْفِرُ رَبُّ العَالَمِينَ لِلصَّائِمِينَ فِي كل لَيْلَةٍ مِنْهُ: «وَلِلَّهِ -جَلَّ وَعَلَا- عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ».

✉وَلِلصَّائِمِ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ؛ فَعَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لاَ تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ».

✉فَعَلَيْنَا أَنْ نَأْخُذَ بِآدَابِ الدُّعَاءِ، وَعَلَيْنَا أَلَّا نَعْجِزَ فِي الدُّعَاءِ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَكُونَ مِنَ الْمُكْثِرِينَ فِي الدُّعَاءِ في أثناءِ الصيامِ، وَأَنْ نَدْعُوَ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَنْ نَعْلَمَ أَنَّ هَذَا هُوَ أَشْرَفُ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِبَادَةِ، يَتَعَبَّدُ بِهِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ لِرَبِّهِ -جَلَّ وَعَلَا- كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ)).

✉فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَوَجَّهَ دَائِمًا وَأَبَدًا إِلَى اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وَأَنْ نُخْلِصَ الْقُلُوبَ لَهُ، وَأَنْ نَكُونَ مُوَحِّدِينَ؛ حَتَّى يَسْتَجِيبَ لَنَا رَبُّنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ.

✉اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَسْأَلُوهُ مِنْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَاجْتَهِدُوا فِي ذَلِكَ أَشَدَّ الاجْتِهَادِ فِي أَثناءِ صَومِكُمْ، ولا تنسوا أن شهر رمضان هو شهر الإنفاق فقدموا صدقة تكون لكم يوم القيامة ظلاً ظليلاً وحجاباً وستراً من نار لا تبقي ولا تذر فقد قال -ﷺ- "اتَّقوا النَّار ولو بشِقِّ تمرةٍ..." صحيح ابن حبان

اللهم تقبل منا صيامنا وقيامنا وركوعنا وسجودنا بين يديك وأحفظ اللهم البلاد والعباد وانشر رحمتك وفضلك وجودك في كل مكان، اللهم يا موضع كل شكوى! ويا سامع كل نجوى! ويا شاهد كل بلوى! يا عالم كل خفية! ويا كاشف كل بلية! يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمائر الصامتين! ندعوك دعاء من اشتدت فاقته، وضعفت قوته، وقلّت حيلته، دعاء الغرباء المضطرين، الذين لا يجدون لكشف ما هم فيه إلا أنت، يا أرحم الراحمين! اكشف ما بنا وبالمسلمين من ضعف وفتور وذل وهوان، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِين

❁المراجع:

❶الدعاء: فضائل وآداب وأحكام: علي عبد الرحمن الحذيفي.

❷خطبة: الدعاء: أ. عبد العزيز بن أحمد الغامدي.

❸دعوة صائم: عبد الرحمن بن عبد الله السحيم.